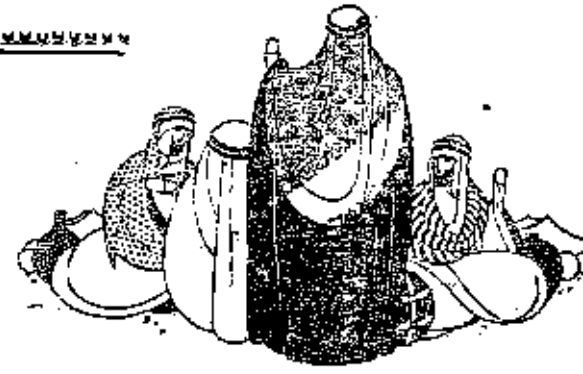

الاتحاد القومي

داؤه وأدواؤه (١)

— ٣ —

يلبغي في هذه الناحية أن أعرض لشبهة اجتماعية خداعة قد تحوم في أذهان بعض الناس فتشتبه مخالبها في أذهان آخرين . تلك الشبهة هي الخلط بين حق الجماعة في كيانها المعنوي ، وحق كل فرد من أفرادها في حياته الخصوصية . ان حق الجماعة المعنوي لا يجوز مريانه الى كل فرد من أفرادها . فاذا قلنا إن لهذه الطائفة الكبيرة حق التفرق في أحيائها تلك الطائفة الصغيرة في مظاهر وأمور رسمية وشبه رسمية ، فلا يستنتج من ذلك أن أي فرد كان من الاولى ، يجب أن يذوق على أي فرد كان من الثانية . وبعبارة أبسط وأوضح ، نقول إن الطائفة الاسلامية الكبيرة حق التفرق والامتياز . ولكن ليس معنى ذلك أن كل فرد من أفرادها يجب أن يدعي لنفسه أو يدعي له غيره حق التقدم على كل فرد آخر من كل طائفة أخرى . وصواب هذه النظرية قريب من البديهيات ، إذا تأملنا منه قليلاً . فمن منا نحن اللاذقيين مثلاً ترضى نفسه ويقتنع وجدانه بوجوب تقديم أي دمشقي كان أو أي حلبي أو أي بيروتي على أي لاذقي كان بحجة أن دمشق أو حلب أو بيروت هي أعظم وأهم وأعمر من مدينتنا اللاذقية . هيهات هيهات ! فان ابن هذه المدينة لم تتدغم في شخصه مدينته . كما أن ابن تلك الطائفة لم تتدغم في شخصه طائفته .

ومما يعوز أبناء الوطن في أثناء تعاملهم وتعاشرهم ، أن يتحمل بعضهم بعضاً في كثير من الهفوات والزلات غير الصادرة عن روية وسبق إصرار ، فان في أدبنا العربي ما يحثنا على النهج القويم حتى قال عنترة العبسي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وقال شاعر آخر جاهلي عرف بالفضل والحكمة مع جمال الوجه وسمه المقنع الكندي :

وإن الذي بيني وبين بني ابي وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هم هووا غيّي هويت لهم رشدا

---

(١) نشر البحث الناقل بمقتطف شهري مارس وماير ١٩٤٥

وإن زجروا طيراً بنحس تمرّ بي زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى فإن قلّ مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم فليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وقال غيره وأظنه الوزير المهلبي:

تناس ذنوب قومك إن ذكر الذنوب اذا قدُمْنَ من الذنوب

وارتقى الى درجة أعلى في مكارم الأخلاق من قال:

إذا بدرت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا

ومن ذلك النهج الشريف، التجاهل والتغافل في كل مقام يقتضيهما. وأول من أشار إلى ذلك في ما طالعناه ورويناه مؤسس الدولة الأموية معاوية بن ابي سفيان حيث قال: «حكام تتخادع للناس وهم يظنون انهم يخدعوننا؟»

أخذ هذا المعنى بعضهم فقال:

ليس الغبيّ بسيدٍ في قومه لكنّ سيد قومه المتغابي

وقد فصل مجمله وجلا رونقه الشاعر أبو شراعة بقوله:

وإذا الكريم أتيته بخديعةٍ ورأيته في ما تروم يداريُ
فاعلم بانك لست تخدع عاقلاً لكنه من فضله يتخادع

ونظر فيه الأمير أبو فراس الحمداني، وكان في ساعة غضب واشمئزاز مما ناله من إجحاف وسوء معاملة فقال: مبرهناً على انه وهو في معظم طور الشبيبة ممن يتأنون ويصبرون ويكظمون الغيظ:

تغاببتُ عن قومي فظنوا غباوتي بفرق أغبانا حصى وترابُ
ولو عرفوني مثل معرفتي بهم إذن علموا أني شهدت وغابوا

وبناءً على ما تقدم منا ذكره، يحتاج الوطن الى تأسيس جمعية وطنية في كل مدينة من مدنه، لكي تسعى بهذه الهادية، فيقتدي بها أهل المدينة وملحقاتها، وعلى وجه خاص لكي تسعى بالوسائل الفعالة الى مكافحة العوائق الأربعة التي أشرنا إليها: مكافحة النعرات الطائفية، ومكافحة عادات التقشف والتقهقر في عاداتنا المعاشية، ومكافحة مساعي من لا يروقهم هذا الأخاء العام وهذا الاتفاق التام، ومكافحة من يظهرون، بغير ضرورة ولا مسوّغ واضح ضعف ثقة بالسلطة الوطنية وبروحة الحواس من أبناء الوطن. وينبغي أن يكون بين جمعياتنا الوطنية التي تؤسس لأجل هذه الأغراض تراابط وتفاهم وتعاون وثيق، تعنى بتبادل الرسائل

وزيارات الوفود لأجل توحيد الكلمة وتوحيد المسعى ولا بد أن يكون لهذه الجمعيات مركز رئيسي في دمشق أو مركزان رئيسيان متحالفان في دمشق وبيروت، حسبما يستقر رأي أبناء بلادنا بهذا الشأن.

وقبل الخروج من البحث الحاضر يطيب لي أن أحرز الموضوع بشيء من الشعر وهو جزء من قصيدة لي وطنية اقتضاها المقام يوم القائها. والخطاب فيها مصوب على وجه خاص الى أعيان الوطنيين وعقلائهم:

عليكم سادتي بني الرجاء ... فلم لا يستقيم لنا البناء
إذا عقلاؤنا خذلوا حماهم ... فدنيانا وما كنها هباء
وما تجدي الرجال ولا عقول ... وما تجدي العقول ولا الرؤى
أتعجبك الخطوب وليس روض ... أتعجبك الرياض وليس ماء
فياعقلاؤنا عطفاً علينا ... إذا ما خان حسحاننا الذكاء
ومزروع الرداد لكم ومنكم ... وفيكم ثمر يعزز اقتناء
ألا فتعاهدوه بكل حزن ... تحالفه الغيرة والولاء
ولا تدعو المجال به لياس ... فداء اليأس ليس له دواء
إذا مشروعنا قصد اتحاد ... تعزز فانقضاض لكم جزاء
وما أنتم إذا أبدى قصوراً ... من العمار المتم أبرياء
أراض مني الديار ومشتهاها ... تجافيه بنيكرون الآباء
ونطمع أن نعد رجال حزم ... فكيف إذن يكون الأغبياء
معاذ الله، ذلك لن نراه ... وفيكم نحوه يزكو مضاء

هذه حقائق راهنة تحتنا بصوت عالٍ مهيب ملؤه الصواب والحكمة والاخلاص أن نجتمع كلنا كتلة قومية واحدة على اختلاف أديانا ومذاهبنا، لنتقي مواضع الأذية والخطر والعار. كذلكم أمنيتنا الذهبية التي نتلمسها، وكذلكم مثلنا الأعلى الذي نسعى إليه ولنا أمل وطيد بالحصول عليه ولو بالتدريج، ولكنه تدريج مطرد سريع الخطى بفضل وجود عقلاء محنكين بين أظهرنا وبفضل ما الطوت عليه الشريعة الاسلامية من جرثومة الخير والمرونة وروح التسامح مماشاةً للاحوال الطارئة، ومراعاةً لكل مكان وكل زمان. ومن ثم لقبت بحق الشريعة السمحاء حتى قالوا: «ان الدين لا يكون الا هيناً ليناً» وحتى ورد في الأحاديث النبوية الشريفة: «ان الله لا أرضاً تظهر ولا فتوراً تبقى» والمراد بالمنبت المنقطع عن رفاقه في السفر. والمراد بالظهر ظهر دابته. فحديث يشير بهذا التشبيه الجميل

من حكم التأمل

سمع الفيلسوف النظري يقول لابنه : يا ابني ، ساعد نفسك على شوقها الى الكمال . ولا كمال في المادة . انما الكمال في تصفية النفس الناطقة ، وتجريدها من الالتفاف في شهوات هذا العالم السفلي ، الذي مصيره للفساد . صل ربك ، يعنك على تطهير نفسك من أرجاس الشهوات . واعلم انك ما عشت لتأكل ، بل نحن لا نأكل إلا لنعيش . فاقتصد في طلب الرزق . وصنك منه الكفاف ، واسرف في تهذيب نفسك ، ان صح ان في الشر سرف . وض نفسك على الخير بحسابها على كل ما تعمل حساباً عسيراً . وساعد عاطفة حب الجمال والكمال في قلبك على تعطيل الشهوات البهيمية . ان لنفسك عليك حقاً في مساعدتها على أن لا تنزل كثيراً عن المستوى العالي الذي نزلت منه الى جسدك الفاني ، ولتناضل عليك حتى ارشادهم الى الغاية التي خلقوا لها ، وهي الوصول الى الكمال اللائق بهذا الانسان الذي كرمه الله وشرفه على جميع مخلوقاته . ولا تجزع لطارقة تنزل بك ، بل اني لاعجب لامرىء ينتظر من عالم الفساد غير المحن التي يمتحن الله بها عباده الصابرين . ولا تترك فرصة الموت تأتيك في الدقائق من مظلوم أو القيام بحماية وطنك الا انتهزتها . وعش فيها كأس الموت ساغة . فان الموت خير الصالح يشربها نفسه من عالم الشرور والمحنة الى نجم مقيم . ذلك هو الكمال الذي تبغيه بني ولم اخلقك الا لهذا . ولا شك عندنا في أن النتيجة اللازمة ، ثابتة في الصحة والفساد لمقدماتها الضرورية . فالنفس التي أحسنت عملا ترجع الى عالمها القدسي ، فريدة العين مما تلقى من النعيم . أما من ساءت استعمال قدرتها ونسيت الرجعى الى عالمها — أعيذك بالعقل الاول — لا تصيب بهذا الانتقال الا عذاباً أليماً .

احمد لطفي السيد باشا

نقلا عن الجزء الثاني من « المنتخبات » هدية المقتطف الفضلة

في قالب الاستعارة التمثيلية ، اشارة بليغة الى سوء المصير الذي ينتظر كل امرىء متقلب يبتعد في سلوكه عن خطة العدل والاعتدال .

هذا جل ما استصوبت الادلاء به أمامكم مدفوعاً بعامل الاخاء الوطني والغيرة القومية ، وقد اخترت صراحة اللهجة مع المحافظة على شرط اللياقة والتأدب مخترقاً الموضوع في صلبه وذواياه غير مكتفٍ بالطواف حواليه كما يفعل الاكثرون . ولعلَّ ما أدليت به كافٍ لتذكير الناسي وتنبيه الغافل . والله في عون العبد ، ما دام العبد في عون أخيه .

اللاذقية

الدوار صرقص

عضو المجمع العلمي في سورية